"التحليـــل النفســـي والحريـــة"

www.arabpsynet.com/Documents/DocMarcelinaPsyAnalysis&freedom.pdf

د. مرسلينا شعبان حسن
مجلة نفسية سوريا
mar-selena@hotmail.com

التحليل النفسي ليس ديناً ولا فلسفة ولا ايديولوجيا ولا حكمة ، بل هو علم يهتم بعلاج ورصد حالات القطيعة البطيئة التي تتجدد باستمرار، مع كل ما يدخل ويختبئ في خطابنا العام على شكل قيم ، وأحكام وشعارات ، وعلى هيئة كلام حول الواجب والحق . وبالطبع تكونه بشكل بديهي يتوزع بين المع والضد ، ليكون بذلك المحلل النفسي ثابتاً ، في بقائه مقابل محافظته على علاقته باللاوعي ، كمصدر وحيد لمعرفة الذات الإنسانية على حقيقتها ، كل ذلك عبر الكلام وحرية القول ، حيث لا يمكن لوجود آخر غير الكلام ، أن يوصلنا إلى إنسانيتنا ..

ولما كان الكلام هو الذي يحدد إنسانيتنا فإن فحوى الكلام ، هو ما يحدد طبيعتنا وماهيتنا الإنسانية ، ويرصد خبراتنا ، ليكون القول الحر البعيد عن الخوف هو مشكلتنا ، من حيث أن التربية على الخوف ، والتبعية هي : من أبرز المسببات لمشاكلنا الذاتية ،من كون الكلام هو منطوق الذات .. من هنا نجد من خلال ما تؤكده خبراتنا العيادية ، أن المضطرب نفسياً نجده يتكلم لسان حال مثله الأعلى ، وعندما لا يقدر بسبب عدم الرضا ، أن يتكلم ما هو بعيد عنه ، من هنا تبدأ إشكاليته مع ذاته ومع الآخرين ، وتبدأ رحلة عذاباته ليصل إلى العيادة النفسية ، وعندما يأتي الشخص إلى العيادة النفسية بإرادته ، من كونه تحسس مشاكله ، التي لا مخرج لها في الأساليب والطرق التي ألفها الناس لحل مشاكلهم العارضة منها والمزمنة ، فهو يأتي إلى العيادة النفسية ليودع مشاكله بذمة النفساني ، وبدون أن يبدي دافعية ليساهم في الحل من خلال التجاوب مع المعالج النفسي ،ليعطي لنفساني صفة الساحر أو المنجم لمشاكله ، وهنا حديث عن خبرتي كمحللة نفسية ، إذ يأتي المريض غالباً ، وبذهنه أن العيادة النفسية مكب نفايات ، بمعنى يريد أن يفضي ما عنده ويذهب ، ولا يريد أن يسمع أي رؤية للنفساني بدايةً ، نجده يتحدث في كل الأمور غلاّ مشكلته الأساس التي أودت به العيادة ، نجده يقاوم الكلام السمع ، كما يقاوم مرات السمع ، لذلك نجد الكثيرين من الأشخاص يقولون مالا يعرفونه ، يقولون أمور لم يفكروا بها ، ولذلك نجد أن الحل للمشاكل النفسية يطول قياس بالأمراض الجسدية ، ولنبدأ بالعمل على حل الإشكالي الذي أرهق مريضنا ، لا بد من العمل

لما كان الكلام هو الذي يحدد إنسانيتنا فإن فحوى الكلام ، هو ما يحدد طبيعتنا وماهيتنا الإنسانية ، ويرصد خبراتنا ، ليكون القول الحر البعيد عن الخوف هو مشكلتنا

لنبدأ بالعمل على حل الإشكالي الذي أرهق مريضنا ، لا بد من العمل فالحل على جعله يقبل أن يكون فاعلاً بأحداث حياته ، وليس منفعلاً أو مفعولاً به ..

من يخاف يربكه الانتقاد ، فينشأ حذراً قلقاً ، يخاف الانتقاد لأنه فاقد الثقة من نفسه ، هو لم يجرب ردود الأفعال تجاه الكلمات ، بل أنشأ على ترداد ما يريده مربيه في مرات كثيرة

فالحل على جعله يقبل أن يكون فاعلاً بأحداث حياته ، وليس منفعلاً أو مفعولاً به ..

فعندما نلمس التمنع وعدم المقدرة على فك أسره من عقالها التربوي الحصين ، وموانعه التي تكرسها مفاهيم المجتمع السلبية ، يبدأ دعمنا بمنح الثقة والطمأنة ، عبر الإصغاء والتقبل ، لأن من يخاف يربكه الانتقاد ، فينشأ حذراً قلقاً ، يخاف الانتقاد لأنه فاقد الثقة من نفسه ، هو لم يجرب ردود الأفعال تجاه الكلمات ، بل أنشأ على ترداد ما يريده مربيه في مرات كثيرة ، لذلك عندما يكون مطلوب منه أن يبتعد عن عائلته ليكون مستقلاً بأفعاله نجده يرتبك ، ويعيش هواجس الضعف والشكوك ، وبدلاً من أن يُدفع هذا الشخص من أسرته على خوض تجربته باستقلالية ، ومن ثم بمسؤولية نجد أسرته تبرر خوفه ، ونجد الأم أو الأب يحملون الموقف الذي عاشه ولدهم بفشل وإحباط ، ليجنبوه متاعب المواجهة من جهة و يضعوه في تجنب من الموقف ، ويحلون له متاعبه بشكل مؤقت .. ويغرق هذا الشخص هنا بدوامة الواجبات الكثيرة لأسرته ، بدون أن يدرك انصهاره ، في حالةٍ سوف ترديه في الضعف والمجهلة ، حيث تبقى ذاته مغيبة ، والسؤال المركزي الذي دائماً يردد في كل العيادات النفسية التحليلية ، لماذا مقاومة المتعبين نفسياً للحديث عن عوارضهم ، وعن مشاكلهم بصورة مباشرة ، لماذا يحدث تحول للأعراض و إقلاب لها من البوح بالكلام إلى البوح والشكوى بالجسد ، فكم من الامراضيات الجسدية منشأها نفسي فعندما تعجز الذات عن الحديث عن ضعفها وخوفها ، يسعفها الجسد ، وبذلك نجد الجسد يتكلم في مرات كثيرة من خلال عوارضه سواء بالحرارة أو البرودة أو بالطفح الجلدي أو بسرعة ضربات القلب ، أو بانسداد السمع وحجب الرؤية ، أو اضطراب عادات النوم والأكل وغيرها من حالات العوارض النفس جسدية ، لتأتي الأبحاث الحديث لتقول وتؤكد أن أخطر الأمراض الجسدية ، تعود إلى عدم استقرار النفس بدءاً من اضطراب سكر الدم إلى السرطانات إلى العقم ، وارتفاع ضغط الدم ، إلى تساقط الشعر و و ...

فإن حرية التعبير هي من أهم المسببات لعيش حداثة العصر، وتقدمه في أوروبا وغيرها من دول العالم المتطور ، نجد واقع الحال لدينا في بلادنا العربية أن الحداثة تعيش حداثة العصر بالاستهلاك من خلال تناول صنوف المأكولات والمشارب الغربية حتى لتغدو مشروباتنا الشعبية وكأنها تعبير عن تخلف وفقر .. ، والأخطر الحداثة في الملبس وغير من تطبيقات الحداثة على مستهلكاتنا اليومية التي لم نعد نقدر على إكمال حياتنا براحة بدونها / والسيارة والموبايل والنت .. فلما كانت حرية

كم من الامراضيات الجسدية منشأها نفسي فعندما تعجز الذات عن الحديث عن ضعفها وخوفها ، يسعفها الجسد ، وبذلك يخد الجسد يتكلم في مرات كثيرة من خلال عوارضه

لما كانت حرية التعبير منطلق هام لحرية الفكر ، يبقى سؤالي المطروح بشدة ، كيف لنا أن ننعم بحرية الفكر ونحن خائفون ، حيث الخوف يعطل الفكر ، وحرية الفكر لابد لها من حرية النقد ..

لما لا نعيش تراثنا من خلال إدخاله في إبداعات الحاضر ، أفكر و أفكر لأصل أن ذلك لن يكون إلاّ في حرية القول الشفهي والقول المكتوب ..

حريتنا تبدأ من إعادة النظر بتنشئة أبنائنا ، فتربية أبنائنا حصيلة لتربيتنا

التعبير منطلق هام لحرية الفكر ، يبقى سؤالي المطروح بشدة ،، كيف لنا أن ننعم بحرية الفكر ونحن خائفون ، حيث الخوف يعطل الفكر ، وحرية الفكر لابد لها من حرية النقد ..

لذلك إن استعمالنا لتراثنا من خلال امتلاكه فقط ، بدلاً من خلال إدخاله في منظومتنا الفكرية ، وتوظيف محتواه في سلوكنا اليومي ، لنعيش الخصوصية وينتفي الاغتراب الداخلي عن ماضينا ، لنعيشه بحيوية وانفتاح لا كطقوس شعائرية فقط ، لما لا نعيش تراثنا من خلال إدخاله في إبداعات الحاضر ، أفكر و أفكر لأصل أن ذلك لن يكون إلاّ في حرية القول الشفهي والقول المكتوب .. ولذا حريتنا تبدأ من إعادة النظر بتنشئة أبنائنا ، فتربية أبنائنا حصيلة لتربيتنا ، وإذا بقيت الأمراض التي تحجب النفس عن التألق أثيرة تفكيرنا سوف يبقى عيش الحرية عسيراً لأبنائنا وهذا ما حصل من ثورة الأبناء على الآباء مؤخراً في بلادنا ..

إن آدابنا وفنوننا ونظريات الفكر لأجدادنا تعطينا الثقة في فهم الرموز القيمية لتراثنا ، فلما لا نبحث عن موقع الأب المثالي المعبر عن مثال الأنا الذي نريد الوصول إليه ، والمصالحة معه من خلال السعي للامتثال إليه من خلال إحيائه ، لا أن نعيش معه كميت ، من كون الحياة دائما أقوى وأبقى من الموت ، من كون الله تعالى "حيٌّ قيوم" ، و الهم يعيش فينا ، من هنا كانت الديانات جميعها تكرس على حياة أخرى بعد الموت ، من كون الموت أشد قسوة من قبوله إلاّ بفسحة أمل ، بلقاء الله بعد الموت ، أو بنيل الشهادة ، حيث الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون ، وبذلك فإن عيش المثل والقيم كخيال وأحلام يقظة تجعلنا قريبين من الموت ، لأنه عندما تنقطع المخيلة عن التخييل ، ونستيقظ من حلمنا .. هنا تكمن الصدمة ويعاش الضعف والمرض ..

الحرية تبدأ بقول الحقيقة ، والشفاء وفق منهجية التحليل النفسي يبدأ من البدء بالقول ، ويتحقق الشفاء الكامل عندما يتمكن مريضنا على التداعي لأفكاره بالكلام بحرية / التداعي الحر هو من أقوى الاستطبابات النفسية لغاية الآن ، حيث عدم المقدرة البوح الحر ، والتداعي الحر، فيهما يكمن الشفاء ، ليكون التمنع والمقاومة عن الكلام ، ما هو إلاّ تثبيت على الامراضية النفسية ، من خلال الهروب من المعرفة والاعتراف بأقصى ما جرى للشخص فيما مضى من عمره ، من هنا كان تحرير المكبوتات شفاء .. حقاً لا وجود لشيء آخر ممكن أن يوصلنا إلى تطهير ذواتنا وعقولنا مثل عظمة الكلمة ، حيث لا تطهير المدن نفع ، ولا تطهير الأرياف نفع ، في بلادنا ، بل زدات الجراح

، وإذا بقيت الأمراض التي تحجب النفس عن التألق أثيرة تفكيرنا سوف يبقى عيش الحرية عسيراً لأبنائنا

إن آدابنا وفنوننا ونظريات الفكر لأجدادنا تعطينا الثقة في فهم الرموز القيمية لتراثنا ، فلما لا نبحث عن موقع الأب المثالي المعبر عن مثال الأنا الذي نريد الوصول إليه ، والمصالحة معه من خلال السعي للامتثال إليه من خلال إحيائه ، لا أن نعيش معه كميت

الحرية تبدأ بقول الحقيقة ، والشفاء وفق منهجية التحليل النفسي يبدأ من البدء بالقول ، ويتحقق الشفاء الكامل عندما يتمكن مريضنا على التداعي لأفكاره بالكلام بحرية / التداعي الحر هو من أقوى الاستطبابات النفسية لغاية الآن

التمنع والمقاومة عن الكلام ، ما هو إلاّ تثبيت على

وانفتقت نتيجة المواد المطهرة الزائدة عن حمولة جسد البلاد ، ويوما بعد يوم يثبت أن بالحرية شفاؤنا ، حقاً إن حرية التعبير هي ما تسبب في حضارة أوربا ، والشعوب التي نفضت مشاكلها ، وعاشت الحرية هي الشعوب التي أبدعت ..

وحيث إننا لن نتمكن من حرية التعبير ، إن لم نمتلك آليات التفكير ، التفكير مع أنفسنا والتفكير مع الآخر ، ولما كان الأنا هو آخر وفق "لاكان" وآخرون ، فكتابتنا لن تكون حرة ، وأصيلة بل تبقى في طور التفريغ .. التفكير بعقل الآخر، ومعه هو غنىً ، وإغناء لحريتنا ، من كونه يفتح لنا أبواب الخلق والإبداع الذي لا حد له ...

حقاً أن الكلمة عنوان ذواتنا نصل إلى الآخر بها ، ويصل الآخر إلي دواخلنا عبر كلمات ، ليغير مشاعرنا واتجاهاتنا ، كما أنه بالكلمات نعيش إيماننا بالصلاة والدعاء ذلك تقرب .. من هنا أجد أن الإيمان بقوة الكلام في الحياة البشرية ، كانت أدوات كل الديانات والفلسفات والإيدولوجيات ، لذلك الكلمة أداة للآخر حيث هذا الآخر هو من يعطي كلامي الفرصة للوصول إلى الهدف الذي أبتغيه وأريده ، كل ذلك عبر تفسير معاني كلامه لي ، وتأويل هذه الكلمات بالرجوع لأوليات المعاني ، ففتح المعاني لا يمكن أن يتم إلاّ عبر حرية التعبير، حتى يتمكن كل منا الوصول إلى معنى مرتبط بحياته ، لابد لذلك له من تحليل المعاني من خلال تأويلها وفهمها ، وهنا تبرز المشكلة الأساس في ثقافتنا العربية ، من أن عملية التأويل مآساة في عالمنا العربي ، حيث أنه يكرس وعبر دعاة العودة السلفية للنصوص بتقييد لحرية العقل ، والبحث ، ولنتذكر ان الله كرم العلم والعلماء عبر نصوص كثيرة منزلة ، حقاً التأويل ينقصنا ،..التأويل طرحته حداثة الغرب ، حيث عاشوا من خلال هذه المنهجية البنيوية للغة من خلال سبر دلالاتها ليكون الاغتناء بالآداب والفنون وانطلاق العلوم ، وتجددت الحياة لديهم من خلال الانتصار على المرض ، حيث معركة الحضارة الإنسانية اليوم هو مقاومة للموت لأقصى الحدود ، فعلاقة الإنسان بالموت هي علاقة وطيدة بالمعاني العميقة لمعنى الحياة ، علاقة الإنسان بالموت علاقة بالحيوات الأخرى ، فالأديان كانت تبشر دوماً لذلك .. ولنتذكر أن كلمات عزؤانا لمن نشاركه مصابه بموت عزيز، عندما نبث له كلماتنا بالقول "أسكنه الله فسيح جناته" .. حيث من الصعب علينا أن نقبل الوقوف عند الموت إلاّ بفسحة أمل لما بعد هذا الموت ، بالسكن بالجنة ، حيث المقبرة ليست وحدات سكنية أو مستوطنات للأموات .. لتبقى جدلية الموت والحياة مفتقة للفكر بالمقدس أو التفكير بسياسات ، وأجندات للحياة من خلال الخطط التنموية ، أو

الامراضية النفسية ، من خلال الهروب من المعرفة والاعتراف بأقصى ما جرح للشخص فيما مضى من عمره

يوما بعد يوم يثبت أن بالحرية شفاؤنا ، حقاً إن حرية التعبير هي ما تسبب في حضارة أوربا ، والشعوب التي نفضت مشاكلها ، وعاشت الحرية هي الشعوب التي أبدعت ..

إننا لن نتمكن من حرية التعبير ، إن لم نمتلك آليات التفكير ، التفكير مع أنفسنا والتفكير مع الآخر

التفكير بعقل الآخر، ومعه هو غنىً ، وإغناء لحريتنا ، من كونه يفتح لنا أبواب الخلق والإبداع الذي لا حد له ...

الكلمة عنوان ذواتنا نصل إلى الآخر بها ، ويصل الآخر إلي دواخلنا عبر كلمات ، ليغير مشاعرنا واتجاهاتنا ، كما أنه

حتى من خلال الحروب ..

الحرية مرآة ، لابد من وجودها ليتعرف الإنسان على نفسه ، من كونها حوار دائم ووصال لا ينقطع ، فهي ظاهرة اجتماعية نعيشها كحالة نفسية يتحقق فيها الوجود الاجتماعي الكلي ، كوجود يتحقق فيه الجدل الحق بين الجزء والكل بين الفرد والمجتمع ، هي ايقاع متناغم بين ارادات مستقلة ، ومتواصلة بين فرد تحقق فرديته من خلال الجماعة ، وجماعة تتطور ويرتقي وجودها من خلال استقلال وحدة أفرادها ، الرغبة لا تتواجد إلاّ في وجود الآخرين ، وبفضل حضورهم في الرغبة في نهاية المطاف ، هي رغبة في آخر هي رغبة في حب الآخر ، وفي تقديره وفي اعترافه في اعجابه ، فلو غاب الآخر لما كانت لنا رغبة ، بل لما كان لنا وعي ، ولما كان لي في نهاية المطاف وجود واعي وحقيقي .

مؤخراً تيقنت لمَ عالمنا العربي حارب التحليل النفسي ، حيث التحليل النفسي حرية للفكر ، ولا يمكن أن يثمر إلاّ في مناخ الحرية ، الحرية التي تعني الحماية لكل من يريد التكلم أو الكتابة ، لتظهر ثقافة التأثير في الجماعات الشعبية ويكون بذلك البناء للوطن يعنى به الجميع ، وليس النخبة ومن هنا الخوف من حرية الشعوب ...

دمشق –10– 12 –2012 م

بالكلمات نعيش إيماننا بالصلاة والدعاء ذلك تقرب ..

عملية التأويل مأساة في عالمنا العربي ، حيث أنه يكرس وعبر دعاة العودة السلفية للنصوص بتقييد لحرية العقل ، والبحث

الحرية مرآة ، لابد من وجودها ليتعرف الإنسان على نفسه ، من كونها حوار دائم ووصال لا ينقطع ، فهي ظاهرة اجتماعية نعيشها كحالة نفسية يتحقق فيها الوجود الاجتماعي الكلي ، كوجود يتحقق فيه الجدل الحق بين الجزء والكل بين الفرد والمجتمع